﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠﴾ [المؤمنون: 29 - 30]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الرّبط بينَ النّجاة بعد المعاناة، وبينَ التماس المأوى المُريح، والمَنْزِل الآمِن المبارك

لمّا ذَكَر تعالى في الآية السّابقة التّلقينَ بالحمد والثّناء بعد النّجاة منَ البلاء، وكان ذلك بسبب استقرارهم في المأوى الآمِن، والمحلّ السّالم، وهو الفُلك، وكان لا بُدّ للسّفينة من مَرسًى تنتهي إليه، وينزلون عنده؛ أوحى إليه - هنا - أن يسأل ربّه سبحانه المَنزِلَ المباركَ، والمَقَرَّ الحميدَ الهنيءَ، الّذي يكون خِتامَ خيرٍ وسلامٍ لهذه المِحنة العظيمة، والرِّحلةِ التّاريخيّة الفخيمة، وفي هذه القِصّة آياتٌ، تدلّ على أنّ اللّه وحدَه المعبود، وعلى رحمة اللّه بعباده، حيثُ حملهم في الفلك لمّا أغرق أهلَ الأرض[1]، ولم يبق إلّا مَن ركب السّفينة، فكان منَ النّاجين.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَنزِلۡنِي﴾: (نزل) أصلٌ يَدُلُّ على هُبوطِ شَيْءٍ ووُقوعِهِ[2]، يُقالُ: نَزَلَ الشَّيء، ينزلُ، نُزولًا، أي: هَبَط وانحَدَرَ مِنْ عُلوٍّ إلى سُفْلٍ، وأنزلَ الشَّيء: جعله ينزُل[3]، والمُنْزَلُ: الإنْزال، تَقولُ: أنْزِلْني مُنْزَلًا مُباركًا، ونَزَّلَ القومَ: أنْزَلَهم المَنازل، ونَزَّلَ فُلانٌ عيرَه: قَدَّر لَها المَنازل، وقَوْمٌ نُزُل: نازِلون، والمَنْزِل والمَنْزِلَة: مَوْضِعُ النُّزول[4]، ونَزَلَ بكذا، وأنْزَلَهُ بمعنًى، وإنْزالُ اللّه تعالى نِعَمَهُ ونِقَمَهُ على الخَلْق، وإعطاؤُهم إيّاها، وذلك إمّا بإنزال الشَّيء نفسه كإنزال القرآن، وإمّا بإنزال أسبابه

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 551. (بتصرّف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزل).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (نزل).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (نزل).

والهدايةِ إليه، كإنزال الحديد واللِّباس[1]، والمرادُ بقوله: ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾، المنزِلُ هنا بمعنى المصدر لا بمعنى المكان، أي: أنزلني إنزالًا فيه خيرٌ ونماءٌ وبَركةٌ[2].

2) ﴿مُّبَارَكًا﴾: (برك) أصل البَرْكِ صدرُ البَعير، وإن استُعمِلَ في غيره، وبَرَكَ البعيرُ: ألقى بَرْكَهُ، واعتُبر منه معنى اللُّزوم والثَّبات، فقيل: ابْتَرَكوا في الحرب، أي: ثبتوا ولازموا مَوضِع الحرب، وسُمّي مَحْبِس الماءِ بِرْكَةً، والبَرَكَةُ: ثبوتُ الخَيْرِ الإلهيِّ في الشَّيءِ[3]، والمُبارَك: ما فيه ذلكَ الخيرُ؛ ولمّا كان الخَيرُ الإلهيُّ يَصدرُ مِنْ حيثُ لا يُحَسّ، وعلى وجْهٍ لا يُحصَى ولا يُحصَر، قيل لكلِّ ما يُشاهَد منه زيادةٌ غيرُ محسوسة: هو مُبارَكٌ، وفيه بَرَكَة[4]، ومباركٌ: اسمُ مفعولٍ من بارَكَهُ، إذا جعله ذا بَرَكَةٍ، أو من بارك فيه، إذا جَعَلَ البَرَكَةَ معه، والمُراد به في الآية: الَّذي تُقارِنُ البَرَكَةُ أحْوالَهُ في أعماله[5].

3) ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾: (بلو) أصلُ الابْتِلاءِ: الاختِبارُ والامتِحانُ، يُقال: بَلَوتُ الرَّجلَ، وابْتَلَيْتُهُ، أي: امتَحَنتُهُ واختَبَرتُهُ وجَرَّبتُهُ[6]، وبَلِيَ الثَّوب بِلًى وبَلاءً، أي: خَلَق، وكأنّي أخْلَقْتُه مِن كثرة اختباري له[7]، والابْتِلاءِ منَ البَلاءِ، وهو: التَّكليفُ بِالأمْرِ الشّاقِ[8]، ويكون في الخَيْر والشَّرّ مَعًا، يُقال في الخَيْر: أبليتُه، وفي الشَّرّ: بَلَوتُه بلاءً[9]، والمُرادُ بالابتلاء في الآية: الاختبارُ والامتحان[10].

## المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول اللّه تعالى: وقل يا نوحُ: ربّي أنزلني منَ السَّفينة ومَن معيَ منَ المؤمنين بعد انتهاء الطّوفان وخرابِ الدُّنيا، مكانًا ومَنْزِلًا كثيرَ الخيرات؛ لكي نستطيعَ العيشَ فيه نحن وذُرّياتُنا، وأنتَ - يا رَبَّنا - خَيرُ مَن تُنزِلُ عِبادَك هذه المنازلَ المباركة، ثمّ يؤكّد تعالى على

(1) الرّاغب، المفردات: (نزل).
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5067.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 16/ 99.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (برك).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 99.
(6) ابن سيده، المحكم: (بلو)، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث، وابن منظور، لسان العرب: (بلا).
(7) الرّاغب، المفردات: (بلى).
(8) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/ 104.
(9) الكفويّ، الكليّات، ص: 34.
(10) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 29.

أنّ في إهْلاكِه قَومَ نوحٍ الكافرينَ وإنجائِه المُؤمنينَ لَدلالاتٍ واضحاتٍ على وحدانيَّته وعِلْمِه وحِكمَته، وصِدْقِ أنبيائِه، وقُدْرتِه على نَصْرِ المؤمنين، وإهلاكِ أعدائِه، ويُؤكّد على أنّ إرسال الرُّسُل والتّذكيرَ بالآيات إنّما هو اختبار منَ اللّه تعالى لعباده قبلَ نزول العقوبة، ليَنظُرَ كيف يَعمَلونَ[1].

أُمِـرَ المـؤمـنُ أن يَحمَدَ رَبَّـه عند النَّجاة، ويسألَه نـزولًا مُـبـارَكًا، فيما يكون آيةً وابتلاء

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### موقع جملة ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي﴾ ممّا قبلها:

جملة ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[2]، للجمع بينَ الثّناء بالحمد، والدّعاء بالمسألة والحاجة، وفيه إشارةٌ إلى عادة القرآن في التّمهيد إلى الدّعاء والرّجاء بالحمد والثّناء، كما في سورة الفاتحة، وقد رويَ عَن قَتادَة ﷺ: "يعلمكم سبحانَه كيف تقولون إذا ركبتُم، وكيف تقولون إذا نزلتُم"[3]، فقولُه تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾[هود: 41] عند الرّكوب، وقولُه تعالى: ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، عند النُّزول[4].

التّقديمُ بين يدَيِ الدّعاء بالحمد والثّناء من سُنّة خيرِ الأنبياء

### بلاغة التّعبير بالمفعول المُطلَق ﴿مُنزَلٗا﴾:

على اعتبار المصدريّة في لفظ: ﴿مُنزَلٗا﴾ من قوله: ﴿أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا﴾، فيدلُّ المفعول المُطلَق على تأكيد مصدر العامل، وهو الحَدَثُ الّذي أخرجه العاملُ أو الفعلُ لحيّز الوجود، وفائدةُ التّنصيص على المصدر ﴿مُنزَلٗا﴾ بعد ذِكْر العامل ﴿أَنزِلۡنِي﴾، المبالغةُ في تعيين المطلوب وتحقيق الدّعاء، كأنّ الدّاعي يريد أن يَلتَبِس بالحَدَث نفسِه، وهو مَنزِل البَرَكة، فيعيشَ فيه، ويُحاطَ به، ويدومَ في كَنَفِه،

خـيـرُ الـدّعـاءِ الـجـامـعُ بـينَ الـخـشـيـة في الشِّدّة، والرّجاءِ في اليُسر

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 38، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 120، والسعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 551، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 6/ 1286.
(2) صافي، الجدول: 18/ 173.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 572.
(4) صافي، الجدول: 18/ 173.

فما أبدعَ التّعبيرَ بالمصدر في تصويره الحَدَثَ نفسَه، وقد صار حِرزًا ينزل فيه الدّاعي، فلا يَبْرَحُ عن وِعاء البركة أبدًا، وعلى ذِكْر أنّ المبالغةَ المقصودةَ تُصَيّر الحدثَ المَدلولَ عليه بالمصدر مكانًا أو موضعًا يغيبُ في أمانِه الفاعل - فيصحّ هنا أن يكون ﴿مُنزَلًا﴾ اسمَ مكانٍ لا مفعولًا مُطلقًا، فيَنصَبّ على الظّرفيّة، أي: أنزلني مكانَ البَركَة والخير، فلا أفارقُه في الدّنيا والآخرة[1].

### توجيه القراءات القرآنيّة في: ﴿مُنزَلًا﴾ وبلاغتها:

المصدر الميميّ يدلّ على منتهى الحدث والذّاتِ المقترِنة به

قرأ الجمهورُ: ﴿مُنزَلًا﴾ بضَمّ الميم وفتحِ الزّاي، وهو اسم مفعول من (أنزله)، على حذفِ المَجرور، أي: مُنزلًا فيه، ويجوز أن يكون مصدرًا ميميًّا، أي: إنزالًا مباركًا، والمعنيان مُتلازمان، ويجوز أن يكون اسمَ مكانٍ لموضع النّزول.

وقرأ شعبةُ عن عاصم: ﴿مَنزِلًا﴾ بفتح الميم وكسر الزّاي[2]، وهو اسمٌ لمكان النّزول، أو اسمُ مصدرٍ بمعنى النّزول، كأنّه قيل: (أنزلني نزولًا)، كاسم المصدر في قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح: 17][3]، فمن بلاغة القراءات هنا أن نوحًا عليه السلام دعا بالبركة في الحال والمآل؛ أيْ: أنزلني إنزالًا مباركًا، وفي مكان مبارك، وهو من جوامع الدعاء.

### دلالةُ تلقينه الدّعاءَ في ﴿وَقُل رَّبِّ﴾:

الدّعاءُ منَ الله وإلى الله، وهو مفتاحُ اليُسر والقَبول

استهلالُ الخطاب بـ(قُلْ) يدلّ على تلقين اللّهِ تعالى مضمونَ الدّعاء، وفي التّلقين إشارةٌ إلى أنّ الدّعاء لمّا كان من أجَلّ العبادات، احتيجَ للنّصّ على مضمونه، وبيانِ كيفيَّته كسائر العبادات، فأُصولُ الأدعيةِ ومبدأُ تعليمِها لا يُدرَك إلّا بالتّوقيف والتّلقين، وفيه إشارةٌ

(1) السّامرائيّ، معاني النّحو: 2/ 149.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 328.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 142، والسّمين، الدّر المصون: 8/ 330، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 48.

إلى أنّ التّلقين بالمَضمون هاهنا كان ضروريًّا؛ لأنّه استتمامٌ لِهدايَةِ اللّهِ لنوحٍ ﷺ، والهدايةُ لا تتعيّن إلّا بالوحي.

**بديعُ جناس الاشتقاقِ في ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾:**

بينَ لفظي: ﴿أَنزِلْنِي﴾ و﴿مُنزَلًا﴾ جناسُ اشتقاقٍ، حيثُ اجتمع اللّفظانِ في أصل الجَذْرِ الاشتقاقيّ، فكلاهما منَ الجَذْرِ الثّلاثيّ: (نزل)، وهو جناسٌ غيرُ تامٍّ، بين فعلٍ واسم، وهو محسِّنٌ لفظيٌّ بديعيّ، من تمام بلاغة التّركيب، يورَد من غير تكلّف.

أحسنُ الكلامِ ما ورد على غير تكلّفٍ ولا تَزلّفٍ

**دلالة حذف أداة النّداء:**

قوله: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي﴾، جملة ندائيّة من حرف النّداء المحذوف، والمنادى المذكور وجوابه، والتقدير: (ياربّ أنزلني)، وجملة النّداء في محلّ نصب مقول القول[1]، وهذه الجملة يَكتنِفُها إيجازٌ بديع، بحذف أداة النّداء تسريعًا في إدخال الدّاعي على ربّه ﷻ، فيكون لفظ الربّ أوّل مَنطوقٍ في الدّعاء، وإيجاز التّخفيف بحذف ياء الإضافة من المنادى، وأصل الكلام: (يا ربّي) وفي حذف الياء - فضلًا عن التّخفيف - إسراعٌ في ذِكْر الحاجة وعرضها، بين يدي ربّ العالمين، بعد افتتاح الدّعاء بالتوجّه باسمه، ويكأنّ الدّاعي حين يدعو لا يُفصَل عن مناجاة ربّه بفاصل، ولا تُفصَل حاجتُه عن اللّه بفاصِل، ففي هذا الحذف زيادة تقريبٍ للعبد من ربّه، وهو يدعو إضافةً إلى قُرب الدّعاء نفسِه، فهو قُربٌ على قُرب، وفي حذف ياء الإضافة كذلك، إشارةٌ بديعة، وهو أنّ الدّاعي حين يحذف ياء المتكلّم من (ربّي) الدّالة على خصوص الرّبوبيّة بالنّسبة له، فيقول: ﴿رَّبِّ﴾ ويكأنّه، يسأل اللّه بعموم ربوبيّته، لا بخصوصها، فكأنّه ينسى ذاتَه ويستحضر اسمَ (الرّبّ)، مجرّدًا عن ضميره، هكذا بعمومه الواسع المطلق، من غير إضافةٍ ولا تقييد، ليكون العطاء أوسع من رجائه وسؤاله.

عطاء اللّه أوسع ممّا يؤمّل العبد، ونِعَمُه لا نهاية لها

(1) صافي، الجدول: 18/ 173.

### إيثارُ لفظِ الرّبوبيّة على غيره:

التّصديرُ باسم الرّبوبيّة، إيذانٌ بالاستجابة والقَبول

حُقّ للدّعوات أن تُصَدّر بلفظ الرّبوبيّة؛ لأنّها استغاثةٌ يُستَنْزَلُ بها عطاءُ المَلِك الكريم، فلا بدّ أن يُقدِّم الدّاعي بوصفٍ يُناسبُ الإحسان الّذي يرجوه، فكأنّه يُعلِّل رجاءَه بنداءِ اسمِ الرّبوبيّة الجليل، أي: لكونك أنتَ الرّبُّ الواسعُ، توجّهتُ بمسألتي إليكَ، ففي التّصدير باسم الرّبوبيّة إيذانٌ بالاستجابة والقَبول.

### بلاغةُ المجازِ المُرسل في فعل الأمر ﴿أَنزِلْنِي﴾:

الأمرُ إلزامٌ وتكليفٌ، والدّعاء إخفاضٌ وتضرُّع

صيغة الأمرِ في قوله: ﴿أَنزِلْنِي﴾ مجازٌ مُرسل، علاقتُه الإطلاقُ والتّقييد، فخرج الأمرُ عن معناه الحقيقيّ، وأُريدَ به الدّعاءُ والاسترحام، وبين المَعنيين الحقيقيّ والمَجازيّ لِلفظِ الأمر مُقابلةٌ واسعة؛ لأنّ الأمر إلزامٌ وتكليفٌ واستعلاءٌ، والدّعاءُ إخفاضٌ واستكانةٌ وتَضرُّع.

### وجه إضافةِ الفعلِ إلى ضمير المُتكلّم:

إدخالُ العبدِ نفسَه في المناجاة مع الله، إشهادٌ عليه بالإيمان

إضافةُ الفعلِ إلى ضمير المُتكلّم في قوله: ﴿أَنزِلْنِي﴾، من ضرورات المعنى في النّظم؛ إسنادًا للحاجة إلى مُبتغيها، لأنّه بدون الضّمير لا يتحدّد هل السّؤالُ لنفسه أم لغيره، وهذه جهالةٌ تُخِلّ بالمعنى المقصود منَ النّظم.

### دلالةُ استعمالِ لفظ ﴿مُّبَارَكًا﴾ صفةً للمُنَزَّل:

الكُرُباتُ تعقبُها البَركاتُ، كما يَعقبُ اليُسرُ العُسرَ

وَصْفُ المَنزِلِ بالمُبارك في قوله: ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾؛ للدّلالة على أنّ السّفينة في ذاتها ومرساها مَحلٌّ لثُبوت الخير ولُزومه لهم، فالسّفينة محلٌّ لإنجائهم، فلا يبارحُها وصفُ البَرَكَة إذا نزلوا فيها، وحين ترسو إلى غايتها، فالبَرَكة حيثُ رَسَتْ إذا نزلوا منها، فهم في خيرٍ لازم دائمٍ إذا نزلوا فيها ونزلوا منها، فالوصفُ بالبَرَكة فيه إشارةٌ إلى تمام النّجاة، بدوام الخير وإحاطتِه بهم حيثُ نزلوا[1].

(1) الرّاغب، المفردات: (برك).

### دلالةُ إفرادِ الضّمير في ﴿أَنزِلْنِي﴾:

الخطاباتُ توجّه لرأس القوم وسيّدهم، ومِن خلالِه للقوم كافّة

إفرادُ نوحٍ بالطّلب في قوله تعالى: ﴿أَنزِلْنِي﴾، مع أنّه يشمل مَن معه من ركّاب السّفينة، فلم يقل: (أَنْزِلْنا)؛ لأنّه إمامُهم وسيِّدُهم، والخطاباتُ توجّه لرأس القوم؛ إكبارًا له وإكرامًا، ولأنّه واسطةُ تبليغِ الوحي إليهم، فيتوجَّهُ الخِطاب له؛ ولأنّه الرّاعي المسؤول عنهم، وهمُ الرّعيّةُ المسؤولون منه، فلا يتوجّه الخطابُ إلّا له، فهو واسطةُ التّعليم والبلاغ فيهم، ولا يخفى ما فيه منَ التّنبيه على رُتبته منهم، ورُتبتِهم منه؛ ليُعَظِّموا نبيَّهم ويوَقِّروه إذ وجدوا استقلالَه بالخِطاب دونَهم.

### بلاغةُ التّذييل في جملة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾:

جملة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ تذييلٌ تعليليٌّ لجملة الدّعاء قبلَها، كأنّه قيل: أنزلني منزلًا مباركًا؛ لأنّك خيرُ المُنزلين، فلا بَركةَ إلّا منك، ولا خيرَ إلّا في إنزالك، والواوُ حاليّة أو استئنافيّة[1].

### سِرّ الخطاب بضمير الجلال المنفصل (أنْتَ):

إيقاعُ الدّعاء بينَ ثناءِ الحمد، وثناءِ التّفضيل

الخطاب بالضّمير المُنفصل المبتدأ[2] في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾، اختتامٌ للمسألة والدّعاء، بخطابِ الثّناء على الله سبحانه، وهذا الخطاب بالثّناء الختاميّ من جنس الدّعاء لفظًا ومعنى، في قوله: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي﴾، وهو تكميلٌ واستِتمامٌ لخطاب الثّناء الافتتاحيّ في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا﴾، فافتتحَ بالثّناء واختتمَ بالثّناء، والثّناءُ الأوّلُ مشفوعٌ بدَفْعِ المَضرّة، وهو التَّنْجيَةُ مِن أذى الظّالمين بإفنائهم، والثّناءُ الأخيرُ متبوعٌ بتوسّلِ جَلْبِ المَنفعة، وهو سؤالُ الإنزالِ المُبارك.

فاجتمع من ذلك أمران؛ **الأوّل:** معنويٌّ، وهو ابتداءُ الدّعاء بالثّناء وختمُه بالثّناء، فالدّعاء في قوله: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ واقع

(1) صافي، الجدول: 18/ 173.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 509.

بين ثنائين؛ ثناءِ الحمد في قوله: ﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وثناءِ التّفضيل في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، **والثّاني**: ردّ العَجُزِ على الصَّدر في جملة الدّعاء وخَتْمه في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، فخِتامُ الجملة: ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، هو ختامٌ لوحِظَ مَطلعُه في قوله: ﴿أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾، فكلمةُ ﴿ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ مردودةٌ على ﴿أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا﴾، وكلمة ﴿خَيۡرُ﴾ مردودةٌ على ﴿مُّبَارَكٗا﴾، كأنّه جَعلَ وصفَ التبّريكِ في المنزل ناشئًا عن وصفِ الخيريّة للّه سبحانه.

﴿مُّبَارَكٗا﴾ اسمُ مفعول، فالبَرَكَةُ مجعولةٌ فيه بفعل اللّهِ النّاشئ عن صفاته، فصِفةُ البَركَة في ﴿مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾ هي أثرٌ من آثار صفةِ الخيريّة المُطلقة الثّابتة للّه تعالى في قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، وبينَ ﴿مُّبَارَكٗا﴾ و﴿خَيۡرُ﴾ تطابقٌ معنويٌّ بينَ الصّفة وأثرِها؛ لأنّ البَركَة هي إيداعُ الخير في الشّيء على جِهَة اللّزوم والدّوام، فالتّبريكُ هو وجهٌ من وجوه الخير، ورَدّ العَجُزِ على الصَّدْرِ، أو ما يُعرَف بالتّصدير، أو ما يقال له: ملاحظةُ المَطْلِع في الخِتام، والخِتام في المَطْلع، وهو لونٌ من ألوان المُحسّنات البَديعيّة اللّفظيّة، وهذا المُحَسّن البَديعيّ يَزداد حُسْنًا باجتماعه مع جِناس الاشتقاق الّذي سبق التّنويهُ عليه.

### نُكْتَةُ تكرارِ لفظ: (قُلْ) في الآية الكريمة:

إعـــادة (قــل) لتعدُّد الدّعاء، إمعانٌ في التّقرُّب والتّودّد

تكريرُ فعل القول في جملة الحمد وجملة الدّعاء: ﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي﴾؛ لتَعدُّد الدّعاء[1]؛ وللإشارة إلى التزام الأنبياء والمؤمنين لمقتضى الخِطاب الإلهيّ في جميع أحوالهم، وأنّ هذا الخطابَ كان خطابًا تكليفيًّا واجبًا في كِلا الجُملتين.

### موقع جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ ممّا قبلها:

جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ استئنافٌ؛ انتُقِل به لتقرير العِبرة

(1) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 328.

حكايةُ القَصَص مَـلْـمَـحٌ غايتُه التماسُ المقاصدِ والعِبَر

والمقصودِ من سَرْد القِصّة وحكايتها، وفيه تنبيهٌ على أنّ القَصَص تُحْكَى لالتماس مقاصدِها، وتَحَرّي مَجامعِ العِبرةِ فيها، وأنّ قَصَص القرآنِ فصْلٌ مُحْكَمٌ لا فضولَ فيه ولا غُثاء؛ فينفذُ إلى المقصود مِن أقصر طريق، وأجزل أسلوب، ويَصِحّ أن يكون الغرضُ منَ الاستئناف تعليلَ ما ذُكِر؛ أي: قَصَصْنا ما قصصناهُ لاستخلاص الآيات واستنتاج العِبَر[1].

### نُكْتَةُ الجمعِ في قوله: ﴿لَآيَٰتٍ﴾:

تتباينُ العِبَرُ بحسب تفاوت المُتَلَقّين لها، في العقول والقلوب والظّروف

جمعُ لفظِ الآيات في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾، مع أنّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ تُشير إلى قِصّة واحدة، وهي قصّة نوحٍ ﷺ؛ باعتبار تعدُّد الدّلائلِ وكثرةِ متعلَّقاتِها في نفسها، وباعتبار تَعدّدِ القِصّة في أذهان المُتلَقّين لها فكلٌّ يَعتَبِر بها بحسب عِلْمِه وفَهْمه، وعلى قَدْر مكانِه وزمنه[2].

### نُكْتَةُ تأكيدِ جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾:

الارتيابُ مرضٌ يُعْدي، والاعتمادُ عليه لا يُجْدي

تصدير جملةِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ بحرف التّوكيد؛ لدَحْض الارتيابِ والتّردّدِ عند المُخاطَب، في شأن ثبوتِ العِبْرةِ النّافعة، والمَغْزى الصّادق المُستَلْهَم من هذا السّرد القَصَصيّ المُعْجِز، فمَن شكّ في اشتماله على الآيات، وظَنّها عَبثًا أو عِبئًا، فقد سيق له مضمونُ الجملةِ مُؤكّدًا؛ ليندفعَ عنه الشّكُّ والإنكار، ومَن كان مؤمنًا فالتّأكيدُ مُفيدٌ في تثبيتِه وتحصينه، من انتقال عدوى المُنكرين المُرتابين إليه[3].

### سِرُّ تقديم الجارِّ والمجرور على اسم ﴿إِنَّ﴾:

تقديمُ شِبهِ الجملة للاختصاص والاعتناء

لم يقل في السّياق الكريم: (إنَّ آياتٍ في ذَلِكَ)، بل قَدَّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾؛ للاختصاص والاعتناء بمدخول

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 509.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 48.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 49.

الجارّ، وهو اسمُ الإشارة العائدِ على القِصّة المذكورة، فإنّه أولى بالعناية والتّقديم؛ لكون المدار عليه، وللتّوسّل بهذا التّقديم إلى زَحْلَقةِ لامِ التّأكيد إلى المبتدأ المتأخّر ﴿لَأَيَٰتٍ﴾[1]؛ لتأكيد مضمونِ الجملة، بتأكيد النّسبة وتحقيقها بينَ المُسنَد والمُسنَد إليه.

**موقع جملة ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ممّا قبلها:**

جملة ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾[2]؛ للجمع بين حصول الآيات والبلاء في القصّة، كأنّه قيل: (إنَّ في ذلكَ القَصَصِ المَذكورِ لآياتٍ وابتلاء)، وجملة ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ حاليّةٌ؛ لتقرير أنّ الابتلاءات مصاحبةٌ للعِبَرات[3]، ومُفادُ ذلك: أنّ الشّأنَ إصابةُ قومِ نوحٍ بالبلاء العظيم، والعقابِ الأليم، وسوفَ يكون ذلك اختبارًا لعبادِنا بهذه الآيات؛ لننظرَ مَن يَعْتَبِرُ، ونَخْبُرَ مَن يتذكَّر، وهو مشابهٌ لقولِه تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: 15][4].

الابتلاءاتُ قرينةُ العِبَرِ لمَن أراد أن يَعتَبِر

**دلالةُ التّعبير باسمِ الفاعل في قوله: ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾:**

التّعبير باسم الفاعل دون الفعل في قوله: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ دون الفعل، فلم يقل: (وَإِنْ كُنّا لِنَبْتَلي) لغرضين؛ **الأوّل:** رعايةُ الفواصلِ في جَرسِها وصورتِها، فلا تتنافَرُ عمّا قبلها منَ ألفاظ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، و﴿ٱلْمُنزِلِينَ﴾، ويبقى الاطّراد على اسم الفاعل، **والثّاني:** تحقيقُ المعنى بتحقيق المَبنى، فالمعنى: هو الإخبار بوقوع الابتلاء لا محالةَ، والمبنى: هو صياغةُ اللّفظِ على بناء الاسميّة؛ ليتحقّقَ الوصفُ ذاتًا وزمنًا وحقيقةً، فيدلَّ اسمُ الفاعلِ على ذات الجليل الفاعلة، وعلى استمرار حدوثِ الصّفةِ، وعلى تحقُّقِها في المُضيّ، وحصولِها في

الابتلاءُ سُنّة إلهيّةٌ لا بدَّ من جريانها على ابن آدمَ ضرورةً

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 509.
(2) صافي، الجدول: 18/ 175.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 132.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 132.

الحال والاستقبال، أي: وإن كنّا لمبتلين من قبل ذلك، وفي ذلك وبعد ذلك، وعلى حقيقة الصّفة الدّالّةِ على معنى الحَدَثِ، ولا يتحقّقُ هذا المجموعُ في الفعليّة، ونُكْتَةُ التّعبيرِ بالاسميّة: الإلماحُ إلى أنّ الابتلاء سُنّةٌ كونيّة، لا بُدّ من جَريانها[1].

### دلالة اللّام في قوله: ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾:

التّمايز بين وظائف (إنْ) المتباينةِ مفيدٌ في الدّلالة

اللّام في قوله: ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ هي الفارقة بين (إنْ) المُثْبِتة والنّافية، والفارقةُ بينَها وبينَ الشّرطيّة، وفائدُتها التّوكيدُ، فحاصل المؤكّدات في التّركيب أربعة: (إنْ) المُخَفّفة من الثّقيلة، وفعلُ الكونِ التّحقيقيّ في قوله: ﴿كُنَّا﴾، ولامُ التّوكيد الفارقة[2].

### نُكْتَةُ التّعبير بلفظ ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾:

الابتلاءُ يكشف الحقائقَ، ويُحَدّد المقامات

التّعبيرُ بلفظ البلاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾؛ لإفادة معنيين؛ أحدهما: تعرّف حالِ المُمْتحَن، وإظهارُ حقيقته، والوقوفُ على ما يُجْهَل من أمره، والثّاني: ظهورُ جودتِه ورداءَتِه، وتحديدُ رُتْبته ومقامِه في حقيقته المُنْكَشِفة بالابتلاء[3].

### نُكْتَةُ حذفِ المفعول في قوله: ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾:

ألوانُ البلاء لا تنحصر في النّاس كيفيّاتُها ولا ألوانُها

حذفُ مفعولِ ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ في قوله: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾؛ للعموم، حتّى تذهبَ النّفسُ فيه كلّ مذهبٍ في التّأويل، على اعتبار أنّ المقصود بالابتلاء عمومُ المخاطَبين، كأنّه قيل: (وإن كنّا لمبتلين النّاس كما ابتلينا نوحًا وقومَه؛ لنعلمَ المؤمنَ منَ الكافر)، وألوان الابتلاء لا تنحَصِر وجوهُها وكيفيّاتُها في النّاس، ولذلك حُذِفَ المفعول، وأمّا على اعتبار الخصوص، فحَذْفُ المفعولِ لدلالة ما قبلَه عليه، أي: وإن كنّا لمبتلين نوحًا وقومَه بما سبق؛ ليَميزَ اللّهُ الصّادقين منَ الكاذبين،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 135.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 142، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 575، وابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد بهامش القونويّ: 13/ 167، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 48.

(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 81.

فهو يُخبر أنّ ما سبق من أحداث كان ابتلاءً وتمحيصًا، وأيضًا: صيانةً للفاصلة ألّا تنخَرِم[1].

### بلاغةُ القَصْر بتعريف طرفَيِ الإسناد:

التّوسّل بالثّناء؛ لإنجاح المرامي، وتحقيق المقاصد

قوله: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، تعرَّفَ فيه طرَفا الإسناد المبتدأُ والخبرُ[2]، فأفاد قصرَ حُكمِ المُسنَد على المُسنَد إليه، فلا يَتّصِفُ بـ ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ إلّا هو سبحانه، وهو قَصْرٌ حقيقيٌّ يُؤذِنُ بالثّناء على اللّهِ؛ توسّلًا بإنجاح مقصودِه وعدم خِذْلانه؛ لأنّ مآله إلى ضيافة ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، فالقَصْر مُضَمَّنٌ معنى البُشْرَى والجزاء بالخير؛ لقرينة الخيريّة في قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾.

### إيثارُ التّعبير بوصف الخيريّة في التّفضيل:

الخيرُ في قضاء اللـه وإن لم تستحسنه النّفوسُ، أو ترتَحْ إليه الطّباعُ

آثَرَ النّظمُ الكريم وصْفَ الخيريّة في التّفضيل في قول: ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، ليدلّ على أنّ وصْفَ الخيريّة توصَف به المواقعُ والمَقارُّ؛ لتقرير منفعتِها، وانتفاءِ الشّرِّ عنها في ذاتها بحسب الحِكْمة وسَبْق التّقدير؛ وفي هذا إشارة إلى تسليم نوحٍ لحُكْم اللّهِ سبحانه ورِضاه، بما يختارُه له، فهو يطلب مقدارَ الخيرِ والعافية، وأنّه قائمٌ حيثُ أقامَه اللّهُ، كأنّه قال: (الخيرُ حيثُ أنزلتَني، وإنْ لم تظهرْ لي حِكْمتُه وحُسْنُه).

### نُكْتَةُ التّعبير بصيغة (أفعل) التّفضيل:

جَعْلُ المفضولِ بإزاءِ الأفضلِ، يُنبِرزُ كمالَ الأفضل

مجيءُ التّركيب على صيغة التّفضيل في قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾؛ لإثبات الخيريّة المُطلَقَة في إنزاله ﷺ على إنزال مَن سواه، وإنْ وُجِدَ وصْفُ الخيريّة فيمَن سِواه، إلّا أنّ خيريَّتَه سبحانَه كاملةٌ تامَّةٌ؛ لاقترانها بالحِكمة والعِلْم الكامِلَين، وخيريّةُ مَن سِواه تعتريها احتمالاتُ النّقص، ولذا كان هو سبحانه خيرُ المُنزِلين؛ لاستحالة الخطأ أو الخفاء أو النّقص أو الشّطط أو الجهل في أفعاله وصفاته سبحانه.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 86.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 509.

### دلالةُ (أل) في ﴿ٱلۡمُنزِلِينَ﴾:

الصِّفاتُ المألوفةُ على قَدْرِ الذَّواتِ الموصوفة

(أل) التّعريف في قوله: ﴿ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ هي الموصولةُ الدّاخِلةُ على أسماء الفاعلين، ولها دلالةٌ على إفادة الكمال، وهو استغراقُ خصائصِ أفرادِ الجنس، أي: هو خيرُ المُنْزِلين الذين استوفَوا صِفاتِ استئهالِ القدرةِ على إنزال خَلْقِه وتوطينِهم، واستكملوا خصائصَ الفعلِ وحقائِقَه.

ودلالتُها على الموصوليّة حقيقةٌ، ودلالتُها على الكمال مجازٌ، ولا تَعارض بين الدّلالتين؛ لأنّ معنى الموصوليَّةِ مُطّردٌ في (أل)، ثابتٌ بنفْسِه من غير قرينة، والّذي أعان على دلالة الكمال ليس (أل) وحْدَها، بل قرائنُ السّياق، وهي في هذا التّركيب: مَجيءُ الكلام بصيغة التّفضيل، الّتي تُؤذِنُ بثُبوتِ أفضليّةٍ مرجوحةٍ للمفضول، ولِكوْنِ التّفضيلِ في جانبِ اللّه سبحانَه، تأكَّدَ معنى الكمالِ في ﴿ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، إذِ اللّهُ لا يُفاضَلُ مع المُنْزِلين النّاقصين، وكذا تعريفُ اللّفظ بـ (أل) الجنسيّةِ الدّالّةِ على استغراق صفاتِ الأفراد وعدَدِهم.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### النّزولُ والحُلول:

الحُلول تُستَحضَر معه الهيئةُ السّابقةُ على النّزول

النّزول: أصل (نزل) يدلّ على انحطاطٍ وهويٍّ مِن عُلوٍّ إلى سُفْل، فالنّزولُ يقال على تَصوُّرِ الهبوط الرّأسيّ، الّذي يُؤدّي إلى الاستقرار في المَحلّ أو الموضع، ثمّ تُجوِّز فيه، فصار يقال في كلّ مَأوىً يَسهُل استقرارُ الإنسان فيه، ويألَفُ فيه المقامَ؛ لأنّه لمّا كان النّزولُ سهلًا غيرَ منفورٍ منه، بخلاف الصّعود الّذي يقتضي المجهود، صار كلُّ محلٍّ سَهْلٍ على الإنسان يُسَمّى منزلًا، وإنْ لم يهبِط إليه بالنّزول من أعلى إلى أسفل.

وأمّا الحلول: فيُقال في النّزول في المكان، لكنّ الحلولَ تُستَحضَر معه الهيئةُ السّابقةُ على النّزول، وهي التّخفّف منَ الأحمال، فأصلُ

الحلول: فكُّ ما كان مشدودًا، أي: معقودًا ومربوطًا وموثَقًا، ولذا كان الحلولُ بالمكان: هو حَلُّ المسافرِ عُقَدَ أحمالِه ليَنزِلَ بالمكان، فالحلولُ حين يُطلَق على النّزول، فهو مجازٌ مرسل علاقتُه الأيلولةُ؛ لأنّ النّازل لا يستطيع النّزولَ في المكان والاستقرار فيه إلّا بحَلّ أحمالِه والتّخفّف منها، ولذا كان الحلولُ هو النّزول باعتبار ما يكون، أو يؤولُ إليه حالُ الحالِّ عُقَدَه[1].

### الابتلاء والتّمحيص:

التّمحيص هو نتيجة البلاء، أو لازِمٌ من لوازمه

الابتلاء في أصل مادّته يدلّ على إخلاق الشّيء وعلى الاختبار، ومنه الثّوب البالي، أي: الخَلَقُ القديم المُتهالِكُ، وسُمّيتِ التّكاليفُ ومُجرياتُ الأقدارِ ابتلاءً؛ لأنّها تَشُقّ على النّاس، فتُخْلِق نفوسَهم، أي: تُهزِلُها وتُقْدِمُها، وتنالُ من عزْمها وجِدِّها، ولأنّها - أيضًا - امتحانٌ واختبار لمعادن النّاس، ووازِعِ الدّين فيهم[2].

وأمّا التّمحيص: فأصل مادّتِه يدلّ على تخليص الشّيء بإنقائه، وتصفيتِه ممّا يشوبُه، فيُقال: مَحَّصَ اللّهُ العبدَ من الذّنب، إذا طهّره مِن آثاره، وخَلّصَه منَ الاقتراف له[3].

وعليه: فالبلاءُ مُقَدَّمُ التّمحيص، فلا تمحيصَ إلّا بابتلاء، والتّمحيص هو نتيجةُ البلاء، فمعادنُ النّاس لا تتمايز ولا يُخلَّى بعضُها عن بعض إلّا بعد امتحانها، ونفْسُ الإنسان لا تُنقَّى من شوائبها المَعيبة إلّا بَعركِها واعتصارها في مِصفاة البلاء.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات: (حل، نزل)، وابن منظور، اللّسان، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حلل، نزل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بلوي)، والرّاغب، المفردات: (بلى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (محص).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»